Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

مفهوم النّص والخطاب بين التجاذب والتنافر

The concept of text and discourse between attraction and Disharmony

هشام فرّوم hicham ferroum1 لخضر حشلافي lakhder hachelafi2
1 جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف Chadli Bendjedid university- El-Tarf
ferroum-hicham@univ-eltarf.dz
2 جامعة زيان عاشور- الجلفة Djelfa Zian achour university
hachelafi2016@gmail.com
المؤلف المرسل: هشام فروم hicham ferroum الإيميل: ferroum-hicham@univ-eltarf.dz

تاريخ الاستلام : 2020-10-20 **تاريخ القبول :** 2021-04-06

ملخص:

يعدّ النّص والخطاب من المصطلحات اللّسانيّة التي خلقت جدلا واسعا على الصعيدين العربي والغربي سواء في ضبط حدودهما أو ماهياتهما؛ حيث أنتج التعاطي معهما تشعّبًا كبيرًا في المجال النّظريّ من خلال زخم هائل من التعريفات بلغ درجة الإرباك، أو في الإطار التطبيقي؛ الّذي شهد تباينا منهجيا كبيرا، خصوصا صعوبة إيجاد حدود علميّة وموضوعيّة بينهما وبين مفهوم مصطلحات أخرى متاخمة لهما كالسياق، والفصاحة، والبيان، والكتابة، والكلمة، والوحي.

كلمات مفتاحية: النّص.، الخطاب.، السياق.، التجاذب.، التنافر.

Abstract:

The text and discourse are linguistic terms that have created a great debate on both the Arab and Western levels in controlling their borders and Implications. Dealing with these two concepts has produced a great deal in the theoretical field through a huge number of confusing definitions, or in the applied framework, which has witnessed a significant methodological difference, especially the difficulty of finding scientific and objective boundaries between them and other concepts adjacent to them such as context fluency, demonstration, writing, word, and connotation .

Keywords: Text; Discourse; Context; Attraction; Disharmony.

1. مقدمة:

إنّ تحديد ماهيّة النّص والخطاب بوصفهما مصطلحان لسانيّان، يضطرنا إلى الوقوف أمام زخم هائل من التّعاريف تستند في معظمها إلى وجهات نظر خاصّة، ومنطلقات ومرجعيّات مختلفة؛ وتأتي صعوبة القبض على المصطلحين وتحديد ماهيتهما وأبعادهما من تعدّد الرّؤى، لكون كلّ مصطلح هو فضاء لأبعاد متعدّدة ومتنازعة إضافة إلى كونه شحنة انفعاليّة، تحكمها قواعد انفعاليّة لغويّة، ومعايير أخلاقيّة وقيم حضاريّة وخصائص اجتماعيّة[1]. ورغم تعدّد المفاهيم واختلاف الرّؤى؛ فإنّه يمكن رصد ما تشترك فيه تلك المفاهيم من النّاحيّة اللّغويّة والاصطلاحيّة، في تحديد ماهيّة المصطلحين (النص والخطاب).

2. ماهية النّص

يقف القارئ أمام ركام هائل من التّعريفات الخاصّة بالنّص، تنطلق من نظرات خاصّة ومرجعيّات مختلفة؛ أي إنّ الاختلاف حول ماهيّة النّص يكمن أساسًا في اختلاف التصوّر لذلك الكائن، والغاية من دراسته. فحدود النّص ونظريّته ومفهوميّته تتجسّد وتتبلور وفق تلك المنطلقات، سواء أكانت إيديولوجيّة، أم نفسيّة، أم خلقيّة. فالنّص سيتموقع في الواقع الّذي ينتجه عبر لغة مزدوجة، تتمّ في مادّة اللّسان وفي التّاريخ الاجتماعيّ. فعبر تحويل مادّة اللّسان (في تنظيمه المنطقيّ والنّحويّ)، وعبر نقل علامات القوى من السّاحة التّاريخيّة (في مدلولاتها المنظّمة من موقع ذلك الملفوظ المبلغ) إلى مجال اللّسانيّ، ينقرئ النّص ويرتبط بالواقع بشكل مزدوج.[2] فما دام النّص الأدبيّ عائمًا كما يؤكّد- الغذامي- "فمبدعه يطلقه في فضاء ويأخذ في تقرير حقيقته"[3]. وما دام النّص إحالة إلى إطار مرجعيّ؛ فإنّ تلك المرجعيّة ستحدّد طبيعة التّعامل معه (النّص) بوصفه كلاًّ مكوّنا من عناصر مختلفة متكاملة فيما بينها على أساس مستويات متعدّدة، أو النّظر إليه من منظور علوم مختلفة تاريخيّة، ونفسيّة، وأنثروبولوجيّة، وغيرها...

لقد تعدّدت قراءة النّص، وتنوّعت مفاهيمه، وتلوّنت بتلوّن النّظريّات الأدبيّة والمدارس النّقديّة، وبحسب الخصوصيّات الثّقافيّة والنّفسيّة، والحضاريّة، الّتي تميّز دارسًا عن دارسٍ آخر، ومن بين أهمّ التّعريفات –في نظري- نجد التّعريف الآتي لـ(فاولر) في كتابه (اللّسانيّات والرّواية)، يقول: "إنّ النّص يعني البنية النّصيّة الأكثر إدراكًا ومعاينة ... وعند اللّسانيّ هذه البنية هي متوالية من الجمل المترابطة فيما بينها تشكّل استمرارًا وانسجامًا على صعيد تلك المتواليّة"[4]. حصر هذا التّعريف (النّص) في البنية الشّكليّة الخارجيّة المتمثّلة في الكتابة كمظهر خارجيّ نشاهده بأمّ أعيننا. ثمّ نقول: إنّ هذه البنية هي متواليّة من الجمل المترابطة فيما بينها مركّزًا على الانسجام الحاصل بينها. أمّا (فان دايك) فيفترض أنّ أيّ تحديد للنّص يقتضي نظريّة أدبيّة، ولذلك دعا إلى إعادة بناء الأقوال ليس على شكل جمل؛ وإنّما على شكل وحدة أكبر وهي (النّص)، يعني به البناء النّظريّ التّحتيّ المجرّد لما يسمّى عادةً خطابًا.[5] يقول (فان دايك) في مادّة (نصّ) في (معجم الآداب): "إنّ الخطاب هو في آنٍ واحد فعل الإنتاج اللّفظيّ ونتيجته الملموسة والمرئيّة والمسموعة، بينما النّص هو مجموعة البنيات النّسقيّة الّتي تتضمّن الخطاب وتستوعبه وبتعبير آخر؛ إنّ الخطاب هو الموضوع المجسّد أمامنا كفعل أمّا النّص فهو الموضوع المجرّد والمفترض؛ إنّه نِتاج لغتنا العلميّة"[6].

إذن فإنّ (فان دايك) يرى أنّ مسألة تجنيس النّصوص مهمّة بالنّسبة إلى قضيّة توظيف النّصوص المختلفة في الأداء، ممّا يعني ضرورة تحليل خصائص معرفيّة عامّة تمكّن من إنتاج معلومة نصيّة وفهمها، ويجب أن يرد هنا كيف يتمّ تحديد هذه الأشكال النّصيّة المختلفة من خلال تحديد السّياقات الاجتماعيّة والثّقافيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة وكيفيّة تغيّرها.[7]أيّ أنّ النّص لا يمكن أن يحدّد على مستوى واحد، بل من الضّروريّ أن يحللّ مستويات عديدة، تركيبيّة ودلاليّة وتداوليّة.[8] وعلى الرّغم من الجهود الّتي بذلها (فان دايك) وغيره من الدّارسين في هذا الميدان؛ فإنّ (هاليداي) قد اكتسب شهرة أوسع في ميدان الدّراسات النّصيّة، فقد بدأ بالتّركيز على أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة، وبالتّأكيد على وجود أنظمة متعدّدة للتّعبير عن المعاني في مختلف الثّقافات مثلاً: الموسيقى، والرّسم، والنّحت،...الخ. ولذلك رأى أنّ دراسة اللّغة تكون في علاقاتها بالبنيات الاجتماعيّة المختلفة؛ وهو العامل الّذي كان مفقودًا في الدّراسات السّابقة، ولذلك فهو لا يلغيها بل يضيف إليها بعدًا جديدًا، وفي رأيه "إنّ فهم اللّغة كنظام يستوجب فهم الكيفيّة الّتي تعمل بها النّصوص، ويعني ذلك - باختصار- انتقال (هاليداي) من الاهتمام بمستوى الجملة – كما كان شأنه في السّابق - إلى الاهتمام بمستوى النّص"[9].

كما أعدّ (هاليداي) مصطلحي (السّياق Contexte) و(النّص Texte) وجهين متداخلين كوجهيّ العملة الواحدة؛ فالنّص هو النّص الظّاهر المكتوب، والسّياق هو النّص الخفيّ المصاحب للنّص الظّاهر، ويتمثّل ذلك في الأحوال والظّروف المحيطة بإنتاج النّص. ثمّ يذهب إلى تعريف (النّص) بأنّه "اللّغة الّتي تخدم غرضًا وظيفيًّا؛ أيّ هو اللّغة الّتي تخدم غرضًا في إطار سيّاق ما"[10]. ورغم كون (النّص) نظام يبدو في شكل كلمات وجمل إلاّ إنّه في حقيقة الأمر نظام من المعاني، أو هو عمليّة تفاعل وتبادل للمعاني بين المتعاملين باللّغة في الواقع الاجتماعيّ.[11]

ومن خلال كلّ هذا يتحدّث (هاليداي) عن الوظيفة التّجريبيّة والتّواصليّة وكذا النّصيّة، ثمّ يذهب في كتابه (اللّغة كسيميوطيقا اجتماعيّة) إلى "أنّ النّص شكل لسانيّ للتّفاعل الاجتماعيّ"[12]، و-هنا- فهو يراعي السيّاق الّذي أحدث فيه النّص، وكذا علاقته بالأبعاد الاجتماعيّة اللّسانيّة والثّقافيّة والمعرفيّة.

يمكن القول: إنّ النّص يأخذ معناه من خلال السّياق الّذي يحيط به، والمعرفة الّتي يتواجد داخلها. أو كما قال (عبد الفتّاح كيليطو) في كتابه (الأدب والغرابة): "ما يلاحظ أنّ كلامًا ما لا يصير نصًّا إلاّ داخل ثقافة خاصّة؛ لأنّ الكلام الّذي تعتبره ثقافة ما نصًّا قد لا يعتبر نصًّا من طرف ثقافة أخرى، بل هذا ما يحدث في الغالب"[13].

معنى هذا أنّ الثّقافة تلعب دورًا بالغ الأهميّة في تمييز النّصوص، فقد تجعل كتابة ما نصًّا، وقد تجعل كتابة أخرى لا ترتق إلى مرتبة النّص.

وإذا كان (هاليداي) قد رأى النّص هو اللّغة الّتي تخدم غرضًا وظيفيًّا؛ فإنّ (روبرت دي بوجراند) رأى أنّ الفرق بين ما هو نصّ وما هو غير نصّ يكمن في البعد الاتّصاليّ وحده.[14] إذ لا يمكن

النّظر إلى النّص بزعم أنّه مجرّد صورة مكوّنة من الوحدات الصّرفيّة أو الرّموز.

إنّ النّص تجلٍّ لعمل إنسانيّ ينوي به شخص أن ينتج كلامًا، ويوجّه السّامعين به إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة. والنّصوص تراقب المواقف وتوجّهها وتغيّرها.[15] وهذا يعني أنّ كلّ وحدة لغويّة أدّت غرضًا تواصليًّا فهي نصّ، وكلّ ما عدا ذلك ليس نصًّا؛ ولهذا اتّجه (روبرت دي بوجراند) مباشرة إلى تحليل النّصوص لأنّها تشمل عل مستويات لغويّة مختلفة، فالنّص "استراتيجيّة اتّصاليّة شاملة تمتدّ خارج المجال اللّسانيّ ولذلك فهي تقوم على نحو من نوع آخر يعرف بنحو التّراكيب الكبرى، وهو يختلف عن نحو التّراكيب الصّغرى"[16]. أي أنّه النّاتج الفعليّ للعمليّات الاتّصاليّة الّتي تنهض على الوحدات والأنماط البنائيّة حال الاستعمال؛ حيث أنّه من الصّعب أن نحصر دراسة النّصوص في صناعة الكلام أو الكتابة، وذلك أنّ هذه الصّناعات ناقصة بطبيعتها إذا عزلت عن العمليّات الإجرائيّة الّتي تؤدّيها.[17] ويضيف (دي بوجراند) أنّ النّص يلزم لكونه نصًّا أن تتوافر له سبعة معايير للنّصيّة مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلّف واحد من هذه المعايير، وهي: السّبك، والحبك، والقصد، والقبول، والإعلام، والمقاميّة، والتناصّ.[18]

وإذا انتقلنا إلى عالم آخر وهو (هيلمسليف) نجده يستعمل مصطلح النّص بمفهوم واسع جدًّا، فيطلقه على أيّ ملفوظ، أو كلام منقّد، قديمًا كان أم حديثًا، مكتوبًا أم محكيًّا، طويلاً أم قصيرًا، فعبارة (STOP) تعني عنده نصًّا مثلها مثل أيّ رواية؛ حيث يقول:

« (Stop) est un texte aussi bien que te roman de la rose» [19]

مفهوم (النّص) إذن يعني أنّ التّحليل يبدأ بالوحدة الكبرى الّتي ترسم حدودها عن طريق تعيين الفواصل والقواطع الملموسة لاتّصالها. ومعنى هذا أنّ علينا أن نضحّي بفكرة الطّول في سبيل الوصول للنّص المستدير المكتمل، الّذي يحقّق مقصديّة قائله في عمليّة التّواصل اللّغويّة. وقد تستخدم في هذا المجال فكرة (انغلاقه على نفسه) كمحور لتحديد هذا الاكتمال، لا بمعنى عدم قبوله للتّأويلات المختلفة، وإنّما بمعنى اكتفائه بذاته؛ فيصبح النّص هو (القول اللّغويّ المكتفي بذاته، والمكتمل في دلالته)، وما لا يحقّق هذا الشّرط – مهما كان طوله – لا يُعتبر نصًّا.

وعندئذٍ يُصبح التّحليل هو مقياس الوحدة الكبرى النّصيّة الّتي تقوم كمنطلق لا مَحِيدَ عنه لفحص ما تحتها من مستويات.[20] مفهوم (النّص) -إذن- عند (هيلمسليف) غير محدّد؛ لأنّه يساوي النّص بكلّ المنطوقات الحقيقيّة والمحتملة للّغة الطّبيعيّة.

كما حاول (هاريس) في عمله (تحليل الخطاب) تحليل النّصوص بنيويًّا؛ فعرّف النّص بأنّه تتابع لجمل كثيرة ذات نهاية، فنظر إلى النّص على أنّه متواليّات جمليّة ذات طول معيّن دون أن يوضّح طبيعة العلاقة بين ذلك التّتابع الجمليّ.[21]

أمّا (هارتمان) فقد حدّد (النّص) بأنّه علامة لغويّة أصيلة، تبرز الجانب الاتّصاليّ والسّيميائيّ. ومن الواضح أنّ هذا التّعريف فيه تأكيد على خاصيّة الاتّصال والعموميّة اللّغويّة والدّلاليّة. فاللّغة المستخدمة في الواقع – حسب (هارتمان)– هي الموضوع الفعليّ؛ أي العلامة الفعليّة المنظّمة، وهذه العلامة – في العادة – هي النّص؛ وبمعنىً أدقّ هي نصّ بعينه. ووفق هذا يتحدّد النّص بأنّه أيّ قطعة ما ذات دلالة وذات وظيفة، وبالتّالي هي قطعة مثمرة من الكلام.[22]

ورغم ما يتّسم به هذا التّعريف من عموميّة واقتضاب، إلاّ أنّه قد فصل في كيفيّة التّعامل مع النّصوص في إطار هذا العلم؛ إذ أنّه يذهب إلى أنّ علم الدّلالة له دور جوهريّ فيه، وله وظيفة محوريّة.[23] وفي ذات السّياق نجد (هارفج) يعد أنّ (النّص) تتابع مشكّل من خلال تسلسل ضميريّ، متّصل لوحدات لغويّة، وهكذا يحاول (هارفج) تأسيس مفهومًا (للنّص) على مبدأ الإعادة، إذ يتحدّث عن "استبدال نحويّ سنتيجماتيّ"، ويضع تصنيفًا معقّدًا من أنماط الاستبدال.[24]

ويذهب (برينكر) إلى أنّ النّص تتابع متماسك من علامات لغويّة لا تدخل تحت أيّ وحدة لغويّة أخرى أشمل باعتباره وحدة كبرى، تتكوّن من وحدات صغرى هي (الجمل)، مشيرًا إلى التّرابط النّصيّ من خلال فكرة التّماسك بين الوحدات اللّغويّة.[25] وهذا ما أكّده مجموعة من الدّارسين أمثال (دي بوجراند، وفان دايك، وساندريس)، هذا الأخير الّذي يرى أنّ النّص عبارة عن مجموعة من الجمل المتماسكة، وللتّماسك أهميّة كبيرة من الوجهة

اللّسانيّة النّصيّة؛ لأنّه يعدّ النّص بكامله تكوينًا حتميًّا أجزاءه متضامنة.

كما أنّ هناك من ينظر إلى (النّص) ومتلقّيه، ولعلّ تعريف (شميث) يؤكّد ذلك المفهوم؛ إذ يقول: "النّص هو كلّ جزء لغويّ منطوق من فعل التّواصل في حدث التّواصل، يحدّد من جهة الموضوع، ويفي بوظيفة تواصليّة، يحقّق كفاءة إنجازيّة يمكن التّعرّف عليها"[26]. فـ(شميث) -إذن- يعدّ (النّص) كمًّا من المنطوقات في وظيفة، ويطلق على كم المنطوقات الّتي يمكن عزلها عن السّياق الاجتماعيّ- التّواصليّ (صيغة أو قالب النّص)؛ إذ إنّ قالب النّص تجريد يمكن أن يتحصّل من عمليّة النّص، ويبدو وكأنّه نصّ بلا وظيفة.[27]

انطلاقًا من جملة التّعاريف الّتي ذكرت على المستويين العربي والغربي، نريد في الختام أن نؤكّد مرّة أخرى على أنّه بالنّسبة (للنّص) بوصفه هدفًا بديهيًّا للتّحليل، وموضوع بناء النّظريّة ربّما لا يوجد إلى الآن أيّ تعريف تام مطلقًا - أعني تعريفًا قاطعًا– وعلى الرّغم من ذلك نريد هنا أن نخاطر بتعريف موجز يجمل نتائج هذا البحث.

إذن ما يمكن استخلاصه من التّعاريف السّابقة، أنّ (النّص) عبارة عن تشكيل نظميّ -مؤسّس على روابط وعلائق تركيبيّة– لغويّ يعكس سمات دلاليّة ملتحمة، تتجاوز سيّاقه الدّاخليّ إلى واقعه الخارجيّ، ذي غرض تواصليّ ينتجه باحث، ويعاد إنتاجه من قرّاء (متلقّين) يتّخذ أشكالاً كتابيّة أو لفظيّة متداخلة مع غيرها من النّصوص، ومؤهّل لأن يكون خطابًا، تحكمه خلفيّات معرفيّة، وهو معادل موضوعيّ للواقع الإنسانيّ والكونيّ.

3. ماهية الخطاب

أصبح مصطلح (الخطاب/ Discoure)[28] متداولاً في مجالات عديدة منها نظريّة النّقد وعلم الاجتماع واللّسانيّات والفلسفة وعلم النّفس الاجتماعيّ والكثير من حقول المعرفة الأخرى. وشاع استعمال هذا المصطلح لدرجة أنّ الكثير من الباحثين دأب على تركه دون تعريف أو تحديد وكأنّ استعماله أصبح أمرًا بديهيًّا وبسيطًا لدى الجميع. وكثيرًا ما يستعمل هذا المصطلح في تحليل النّصوص الأدبيّة وغير الأدبيّة للإشارة، بطريقة غامضة تثير الدّهشة أحيانًا إلى أشكال من أشكال الحذق النّظريّ. وبالرّغم ممّا لمصطلح الخطاب من تعدّدٍ في المعاني مقارنة بالمصطلحات الأخرى إلاّ أنّه أقلّها تعريفًا وتحديدًا ضمن النّصوص النّظريّة، لذا بات من المهمّ جدًّا البحث في الطّرق الّتي نسعى بها إلى فهم دلالته.[29] وأبسط وأوضح سبيل لذلك هو اللّجوء إلى معجم من المعاجم في المجال ولو فعلنا ذلك لبدت لنا استعمالاته العامّة مختلطة باستعمالاته الخاصّة ومسيطرة عليها؛ حيث نجده في (لسان العرب) يفيد: "خطَب فلان إلى فلان، فخطبه وأخطبه؛ أيّ أجابه، والخطاب والمخاطبة، مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان"[30].

إنّ مفهوم الخطاب حسب (ابن منظور) لا يخرج عن صيغة التّخاطبيّة بين شخصين، إذ تستوجب المخاطبة الإجابة وردّة فعل، وتستدعي الإجابة تحويل الكلام من المتلقّي إلى المرسل، فذلك يعني تبادل، ومفهومه يماثل مفهوم الحديث الّذي يعني كذلك التحدّث مع الآخر وتلقّي إجاباته ما عدا الحالات الاستثنائيّة الّتي يُفتقد فيها للإجابة مثل المخاطبة الذّاتيّة، أو مخاطبة النّفس، والحديث مع إنسان لا يرغب في الإجابة. فقد يمثّل الخطاب الحجاجيّ نوعًا ونمطًا من هذا الإرسال والتلقّي، إلاّ أنّ التّبادل خاضع لعدّة عناصر متشابكة ومعقدّة تمثّل مكوّنات الخطاب والتّخاطب إلى الآخر.[31]

إنّ تتبُّعًا لأوضح السّبل في تاريخ استعمال الخطاب بوجه عامّ، أظهر أنّ هناك تدبدبًا في التّركيز على مظهر من مظاهره دون ما سواه، فلنتأمّل مثلاً التّعاريف التّاليّة:

1- الخطاب مصطلح مرادف لـ(الكلام)، بحسب رأي (سوسير) اللّسانيّ البنيويّ، على اعتبار أنّ الكلام إنجاز لغويّ فرديّ، يتوجّه به المتكلّم إلى شخص آخر يُدعى المخاطَب، كما يرتبط الخطاب بعنصر اللّغة انطلاقًا من أنّ اللّغة نظام من الرّموز يستعملها الفرد للتّعبير عن مقاصده.[32]

2- الخطاب وحدة لغويّة، يُنتجها الباثّ (المتكلّم)، تتجاوز أبعاد الجملة أو الرّسالة - بحسب رأي (هاريس) – الّذي أجمع كلّ الدّارسين على ريّادته في هذا المجال؛ حيث أعطى الخطاب مفهومًا أكثر اتّساعًا ليُصبح دالاً على "ملفوظ طويل، أو هو متتاليّة من الجمل، تكون مجموعة مختلفة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجيّة التّوزيعيّة،

وبشكل يجعلنا نظنّ في مجال لسانيّ محض"[33]. وحسب هذا التّعريف فإنّ (هاريس) يرى أنّ (الخطاب) يُبنى أوّلاً وأخيرًا على معطيات صوتيّة يتحدّد موقعها من خلال أقسام الخطاب، وليس بوظيفتها التّركيبيّة العامّة. والمبدأ الأساس المعتمد في هذا، هو أنّ لكلّ وحدة لغويّة توزيعًا اقترانيّا خاصًّا بها، والتّوزيع -في نظره- هو مجموعة السّياقات الّتي تظهر فيها الوحدة، وهذا التّوزيع هو الّذي يميّز الوحدات المختلفة من بعضها. والواقع أنّه لا يكفي كذلك أن يقال إنّ الخطاب يتشكّل من أكثر من جملة، فإيراد عدد من الجمل بصورة اعتباطيّة لا يشكّل خطابًا، وذلك لأنّ "أيّ نسق من الجمل لابدّ أن يترابط لكيّ يصنع خطابًا"[34].

وبالتّالي فقد سعى (هاريس) في تعريفه (للخطاب) إلى تطبيق تصوّره التّوزيعيّ؛ والّذي ترتبط بموجبه كلّ العناصر أو متتاليّات العناصر المكوّنة للخطاب بعضها ببعض بشكل منطقيّ بعيدًا عن الاعتباطيّة والعفويّة.

3- هو وحدة لغويّة تفوق الجملة، تولد من لغة جماعيّة -بحسب رأي (بنفنيست)- الّذي اعتبر أنّ "الخطاب هو أيّ صنف من المخاطبة الشّفهيّة، مهما كانت طبيعتها، وقد يمتدّ ذلك من أتفه المحادثات إلى أرقى وأقيم المحاضرات..."[35]. كما يُشكّل الخطاب أيضًا كتلة الكتابات الّتي تعيد إنتاج الخطاب الشّفهيّ، أو الّتي تستعير طريقة تعبيره وتتبنّى أعراضه كالمراسلات والمذكّرات والمسرحيّات، والبحوث في مجال التّربيّة والتّعليم. وباختصار، فهو يشكّل كلّ الأنواع الّتي يُخاطب بها أحدهم نفسه كمتحدّث.

إنّ ما نفرّق به بين السّرد التّاريخيّ والخطاب لا يُصادف البتة الفرق بين الخطاب واللّغة المكتوبة والمحكيّة، فلقد أصبحت العبارة التّاريخيّة اليوم حكرًا على اللّغة المكتوبة بينما يأخذ الخطاب شكلين: شكلاً مكتوبًا وشكلاً محكيًّا. وفي الواقع العمليّ يمكننا المرور من العبارة إلى الخطاب بصفة آنيّة، فكلّما برز الخطاب أثناء سرد الأحداث التّاريخيّة، عندما يستشهد المؤرّخ بقول أحدهم، أو عندما يتدخّل للتّعليق على ما يُرى من أحداث، ننتقل إلى صيغة زمنيّة أخرى وهي صيغة الخطاب.[36]

ويخلص (بنفنيست) إلى أنّ الخطاب هو أيّ منطوق أو فعل كلاميّ يفترض وجود راوٍ ومستمع وعند الأوّل نيّة التّأثير في الآخر بطريقة معيّنة.[37]ويقابل مفهوم الخطاب -لدى (بنفنيست)- مفهوم الملفوظ؛ إذ إنّه يرى -على غرار باقي الباحثين الفرنسيّين- أنّ النّظر إلى النّص بوصفه بناءً لغويًّا يجعل منه ملفوظًا، أمّا البحث في ظروف إنتاجه وشروطه فإنّه يجعل منه خطابًا.[38]

4- وهو نظير بنيويّ لمفهوم الوظيفة في استعمال اللّغة عند (تودوروف)[39]، فالخطاب -حسب رأيه- جسم له ذاته، ومحركته، وزمنه، وهو مختلف عن كلّ ما عداه؛ حيث يخضع لانتظام داخليّ، لكنّه يتحرّك بحريّة مستقلّة، ومن ثمّة فهو لون يختلف عن النّص.[40]ثمّ إذا ما نحن تجاوزنا هذه المفاهيم للخطاب؛ فإنّ باستطاعتنا أن نجد له تعريفات أخرى، فهو فضلاً عن كونه مجموع التّعابير الخاصّة الّتي تحدّد بوظائفها الاجتماعيّة ومشروعها الإيديولوجيّ؛[41] أي مجموع النّصوص والأقوال ذات النّظام والتّنظيم.[42]

ويُعرّف الخطاب كذلك بأنّه "الطّريقة الّتي تشكّلها الجمل، نظامًا متتابعًا تسهم في نسق كلّي متغاير، ومتّحد الخواصّ، وعلى نحو يمكن معه أن تتآلف الجمل في خطاب بعينه لنشكّل نصًّا مفردًا، وتتآلف النّصوص نفسها في نظام متتابع لتشكّل خطابًا أوسع ينطوي على أكثر من نصّ مفرد"[43].

كما يشير مصطلح (الخطاب) إلى نظام فكريّ يتضمّن منظومة من المفاهيم والمقولات النّظريّة حول جانب معيّن من الواقع الاجتماعيّ بُغية تملّكه معرفيًّا، ومن ثمّ يفهم منطقه الدّاخليّ، وذلك عن طريق عمليّة فكريّة محدّدة تنتظم بناء المفهوم والمقولات بشكل استدلاليّ بحكم الضّرورة المنطقيّة الّتي تُصاحب عمليّة إنتاج المفاهيم.[44]وهذا ما عبّر عنه (روجر فاولر) بقوله: "إنّ الخطاب كلام أو كتابة يُنظر إليهما من زاويّة الاعتقادات والقيم الّتي يجسّدانها؛ ويمثّل هذه الاعتقادات وما إلى ذلك أسلوب نظر إلى العالم، وتنظيمًا و مثيلاً للتجربة؛ أي (الإيديولوجيا)، بالمعنى الموضوعيّ الحياديّ. إنّ مختلف أنماط الخطاب ترمز إلى مختلف أشكال تمثيل التّجربة، ومصدر هذه الأشكال من التّمثيل سياق الاتّصال الّذي يكمن فيه الخطاب"[45]. وأخيرًا يمكن تلخيص مفهوم (الخطاب) من خلال وضع الاصطلاح الأكثر عموميّة فهو "نظام تعبير متقن ومضبوط"[46].

وهذا النّظام ليس في جوهره إلاّ بناءً فكريًّا يحمل وجهة نظر، وقد تمّت صيّاغته في بناء استدلاليّ؛ أي بشكل مقدّمات ونتائج.[47] ويجري (الخطاب) بين (مرسل) و (متلقّ) للرّسالة ضمن عمليّة الاتّصال، فهو إذن المعرفة المنظّمة الخاصّة بجانب محدّد من الواقع أو ظاهرة محدّدة، ومن ثمّ يمكن الحديث عن خطابات متعدّدة، سيّاسي، وفلسفي، وأدبيّ. كما أنّ (الخطاب) إنجاز في المكان يقتضي لقيامه شروطًا أهمّها، المخاطِب، والخطاب والمخاطَب؛ لأنّ الهدف الأساس من استعمال الكلام هو إيصال رسالة إلى شخص معيّن أو إلى مجموعة من الأشخاص، ولذلك فإنّ استعمال الكلام يستوجب وجود عنصرين لا يكون الحديث -كما ذكرنا- إلاّ بهما وهما المتكلّم الّذي يؤلّف الرّسالة تبعًا لأهوائه ورغباته، والمخاطِب الّذي يقوم بفكّ رموز هذه الرّسالة لفهمها، فلابدّ إذن من أن تكون هناك رسالة يبثّها المتكلّم ليتلقّاها المستمع الّذي قد يكون شخصًا حقيقيًّا أو وهميًّا متخيّلاً من قبل المتكلّم. هذا التّواصل الخارجيّ لا يقوم إذن إلاّ بوجود قطبيّ الحديث (المرسل والمرسل إليه)، بالإضافة إلى ضرورة وجود رسالة تنتمي إلى نظام مشترك بين طرفيّ التّواصل ليتمكّن كلّ منهما منفهم الآخر وإفهامه. ويميّز (جاكبسون) نوعًا آخر من التّواصل، يكون فيه (المتلقّي) و(المرسل) شخصًا واحدًا، وهو ما يُعرف بالتّواصل الدّاخليّ، كما يشدّد على أهميّة التّواصل الخارجيّ في إيصال الأفكار للآخرين والتّعامل معهم، فهو لا يفتأ يذكر الحوار الدّاخليّ أيضًا، فالتّواصل مع الآخرين لا يكتمل إلاّ باستبطان اللّغة.[48] فمصطلح (الخطاب) -إذن- متعدّد المعانيّن فهو وحدة تواصليّة إبلاغيّة، ناتجة عن مخاطِب معين، موجّهة إلى مخاطَب معيّن في سيّاق معيّن، يُدرس ضمن ما يُسمّى بلسانيّات الخطاب وهو تواصل لسانيّ، يُنظر إليه كإجراء بين المتكلّم والمخاطَب؛ أي فاعليّة تواصليّة يتحدّد شكلها بوساطة غاية اجتماعيّة.[49] والخطاب يتنوّع بتنوّع الطّرق الّتي يتّخذها المتكلّمون أو الكتّاب، وذلك بحسب مواقف اجتماعيّة وثقافيّة محدّدة، فتنتج بذلك أنواع كثيرة من الخطابات، مثل الخطاب الدّينيّ، والخطاب العلميّ، والخطاب السيّاسيّ، والخطاب البيداغوجيّ...الخ.[50]

وبالرّغم من أنّ الخطاب يتوسّل دائمًا اللّغة في غاياته، فإنّ جوهره في حقيقة الأمر ليس لغويًّا؛ إذ هو مجموعة من النّوايا الّتي تتحقّق بوساطة اللّغة.

وما يمكن ملاحظته من خلال هذه السّلسلة من التّعريفات أنّ كلمة (خطاب) لا يمكن حصرها في معنىً واحد، فلقد كان لها تاريخ معقّد وحافل بالاستعمالات المختلفة من قبل مختلف الباحثين. يعلّق (ميشال فوكو) بهذا الشّأن قائلاً: "بدل أن أقلّص تدريجيًّا من معنى كلمة (خطاب) وما لها من اضطراب وتقلّب، أعتقد أنّني، في حقيقة الأمر أضفت لها معانٍ أخرى بمعالجتها أحيانًا كمجالٍ عام لكلّ العبارات، وأحيانًا كمجموعة من العبارات الخاصّة، وأحيانًا أخرى كممارسة منظّمة تفسّر وتبرّر العديد من العبارات"[51].

إذن يمكننا القول: إنّ ما يجعل عمليّة تعريف (الخطاب) أكثر تعقيدًا هو أنّ أغلب الباحثين عند استعمالهم لهذا المصطلح لا يحدّدون بأيّ تعريف من هذه التّعاريف يأخذون. أضف إلى هذا فإنّ بعض الباحثين قد يبلغ به الأمر إلى تغيير هذه التّعاريف الأساسيّة وتعديلها تبعًا لتغيير المنطلقات وتنوّع الاتّجاهات نتيجة اختلاف فهم المهتمّين على وفق التطوّر فيما أُنتج في مجال نظريّته. وعلى الرّغم من تعدّد مفاهيم مصطلح (الخطاب) انطلاقًا من تعدّد تصوّرات المهتمّين به؛ فإنّ تلك التصوّرات وإن كانت متمايزة من بعضها؛ فإنّها تحقّق التّكامل في الوقت ذاته. محقّقة للخطاب مفهومًا واسعًا يتضمّن جلّ الخصائص (اللّسانيّة، والمنطقيّة، والتّواصليّة، ...) المكوّنة للخطاب.

4. بين النّص والخطاب:

إنّه لمن الصّعوبة بمكان إيجاد حدود علميّة موضوعيّة بين مفهوميّ (**النّص**) و(**الخطاب**)؛ إذ تُحدث الثّنائيّة (**النّص/الخطاب**) (**Texte/Discours**)، تشعّبًا كبيرًا في المجال النّظريّ إلى درجة عدّ فيها البعض (الخطاب) رديفًا (للنّص) رغم أنّ المفهوم الشّائع هو أنّ (النّص) الوجهُ المكتوب من (الخطاب). ويتساءل (بول ريكور) -في هذا الشّأن- قائلاً: "لنطلق كلمة (نصّ) على كلّ (خطاب) تمّ تثبيته بواسطة الكتابة، إنّ هذا التّثبيت أمر مؤسِّس للنّص ذاته ومقوِّم له. ولكن ما هو هذا الشّيء الّذي يتمّ تثبيته بواسطة الكتابة؟ يُلاحظ أنّ كلمة (خطاب) في هذا السيّاق لا تزال عامّة جدًّا، فهل يُقصد بها ما تمّ نطقه فيزيائيًّا أو عقليًّا؟"[52].

كذلك (شلوميت) "يستعمل (النّص) بمعنى (الخطاب) الشّفويّ أو الكتابيّ أو بمعنى آخر هو ما نقرأ"[53]. والمُلاحظ أنّ الثّنائيّة (النّص/الخطاب) قد استعملت بمعنىً واحدًا؛ بحيث أُعْطيت (للنّص) فضاءً واسعًا ليشمل (الخطاب)؛ بمعنى أنّ (الخطاب) نشاط تبليغيّ شفويّ ولكنّه قد يتحوّل إلى كتابة فيصير نصًّا. ويُقرّ (باختين) من خلال نظرته إلى الملكة اللّسانيّة، أنّنا لا نتحدّث بقضايا معزولة، وبالتّالي ولا بكلمات معزولة، وإنّما بملفوظات. كما يُلحّ على أنّ فعل تعلّم الكلام ما هو إلاّ تعلّم بناء ملفوظات، وعلى أنّ أنواع الخطاب تنظّم كلامنا بالطّريقة ذاتها الّتي تنظّمه بها الصيّغ النّحويّة.

إنّ ما يمكن تسجيله في البداية من خلال مفهوم (أنواع الخطاب)، هو وجود ممارسة خطابيّة مقعّد لها، وكذلك وجود أشكال -أنماط من الملفوظات- تُحيل إلى أنواع خاصّة من الخطابات، إلاّ أنّ محاولة تصنيف أنواع الخطابات تصطدم بعقبات شتّى؛ منها اختلاف هذه الأنواع وحركيّتها الشّديدة، إضافة إلى استحالة استخدام نموذج قادر على وصف (نظام العلاقات) الّذي "يحدّد المواضع التّأسيسيّة لمختلف الأوضاع الّتي يحتلّها موضوع التّلفّظ من أجل خطاب ما"[54].

ونظرًا إلى استحالة إهمال بُعد الخطاب الاجتماعيّ، والتّغاضي عنه، فإنّ الوحدة الأنسب للتّحليل لا تكمن في الخطاب، بل في تداخل الخطابات؛ أيّ فضاء التّبادل بين خطابات متعدّدة. ونتيجة إلى تجاوز هذا النّوع من التّحليل لوسائل اللّسانيّين النّظريّة، وتموضعه أبعد من مجال علوم اللّغة العامّة، فقد سعى (أدام) إلى تفريق أوّليّ بين الخطاب، وليكن (النّص+ ظروف الإنتاج)، وبين النّص، وليكن (الخطاب - ظروف الإنتاج). بعبارة أخرى، فإنّ (الخطاب) هو ملفوظ قابل لأن يتميّز بخصائص نصيّة، وخاصّة كفِعل خطاب منجز في مقام معيّن، ومكان معيّن، وزمن معيّن؛ أيّ بعمليّة تلفّظيّة معيّنة، في حين أنّ النّص -على العكس من ذلك- هو الموضوع المجرّد، والنّاتج عن إسقاط السيّاق المؤثّر في الموضوع الملموس، وهذا يشمل التّاريخ، وعلم النّفس اللّغويّ والتّحليل النّفسيّ، وغيرها من العلوم.

وهذا ما ذهب إليه (فان دايك)؛ حيث افترض أنّ أيّ تحديد للنّص يقتضي الانطلاق من نظريّة أدبيّة محدّدة، ويقول في مادّة (ن، ص) في معجم الآداب: "إنّ الخطاب هو في آن واحد فعل الإنتاج اللّفظيّ ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئيّة، بينما النّص هو مجموعة البنيات النّسقيّة الّتي تتضمّن الخطاب وتستوعبه وبتعبير آخر، فالخطاب هو الموضوع المجسّد أمامنا كفعل، أمّا النّص فهو الموضوع المجرّد والمقترض؛ إنّه نِتاج لغتنا العلميّة"[55].

فمجال تحليل الخطاب يركّز على بُنى اللّغة المحكيّة المستعملة في ظروف طبيعيّة كما نجد ذلك في بعض (الخطابات)، كالمحادثات والاستجوابات والتّعاليق والخطب، بينما يركّز مجال تحليل النّص على بُنى اللّغة المكتوبة، ومن الأمثلة على ذلك المقالات، واللاّفتات، وإشارات المرور، وفصول الكتب. لكن ليس هذا التّمييز تمييزًا جليًّا وواضحًا، فقد كان لهذين المصطلحين العديد من الاستعمالات الأخرى. وبصفة خاصّة قد يُستعمل كلّ من (الخطاب) و(النّص) بمعنىً أوسع بكثير ليشمل جميع الوحدات اللّغويّة الّتي لها وظيفة اتّصاليّة محدّدة، سواء أكانت تلك الوحدات محكيّة أو مكتوبة. فمن العلماء من يتحدّث عن (الخطاب المحكيّ أو المكتوب) ومنهم من يتحدّث عن (النّص المحكيّ أو المكتوب).[56]

ويعلّق (هوثرن) على هذه المفارقة بين النّص والخطاب قائلاً: "يعالج (مايكل ستابس1983) مفهوميّ النّص والخطاب وكأنّهما مترادفان؛ لكنّه يلاحظ أنّه في استعمالات أخرى قد يكون النّص مكتوبًا، بينما يكون الخطاب محكيًّا، وقد لا يكون النّص تفاعليًّا بينما يكون الخطاب كذلك...وقد يكون النّص طويلاً أو قصيرًا لكن الخطاب يُوحي بطول معيّن، ويتميّز النّص بانسجام في الشّكل والصّيغة، بينما يطبع الخطاب انسجام أعمق من حيث الدّلالة والمعنى. وفي الأخير يُلاحظ (ستابس) أنّ هناك من المنظّرين من يفرّقون بين مكوّن اللّغة النّظريّ المجرّد، والتّحقيق النّفعيّ لهذا المكوّن، ولو أنّهم لا يتّفقون أيّهما يمثّله مفهوم النّص"[57]. معنى هذا أنّ الصّفة المميّزة للنّص هي استعماله في الاتّصال وأنّ الخطاب مجموعة من النّصوص ذات العلاقات المشتركة؛ أي أنّه تتابع مترابط من صوّر الاستعمال النّصيّ يمكن الرّجوع إليه في وقت لاحق. وإذا كان عالم النّص هو الموازي المعرفيّ للمعلومات المنقولة، والمنشّطة بعد الاختزان في الذّاكرة من خلال استعمال النّص؛ فإنّ عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغويّة أو مجتمع ما.[58]

ومن أهمّ الآراء الّتي وردت كذلك في شأن الثّنائيّة (نصّ/خطاب) رأي (جوليا كريستيفيا) الّتي رأت أنّ النّص أكثر من مجرّد خطاب أو قول؛ إنّه موضوع لعديد من الممارسات السّيميولوجيّة الّتي يعتدّ بها على أساس أنّها ظاهرة غير لغويّة؛ بمعنى أنّها مكوّنة بفضل اللّغة، لكنّها غير قابلة للانحصار في مقولاتها. وبهذه الطّريقة فإنّ النّص غير لغويّ يعيد توزيع نظام اللّغة ويكشف العلاقة بين الكلمات التّواصليّة، مشيرًا إلى بنيات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السّابقة والمتزامنة معها. إنّ (النّص) - بحسب كريستيفيا- يتجاوز (الخطاب)، ويتميّز عنه بخاصيّة الإنتاجيّة؛ بمعنى أنّه قابل للتّفكيك وإعادة البناء من جديد، فالنّص نتيجة لذلك إنّما هو عمليّة إنتاجيّة. وهذه الخاصيّة تجعل النّص قابلاً لأن يعبّر عنه بمقولات منطقيّة أو رياضيّة. وتنضاف إلى هذه الخاصيّة خاصيّة أخرى، وهي تقاطعه مع نصوص أخرى، وهو ما يسمّى بـ (التناصّ) عن طريق أخذ أقوال من نصوص، سواء كانت هذه النّصوص تراثيّة أم معاصرة. وفي هذا السيّاق نجد (رولان بارث) ينحو منحى كريستيفيا؛ إذ يرى "أنّ النّص يظلّ على كلّ الأقوال متلاحمًا مع الخطاب وليس النّص إلاّ خطابًا، ولا يستطيع أن يتواجد إلاّ عبر خطاب آخر"[59]. بمعنى أنّ النّص يمتاز بخاصيّة الإنتاجيّة والتناصّ الّتي قالت بها كريستيفيا.

إذن يظلّ التّمييز بين (النّص) و(الخطاب) من زاويّة كون النّص في الأساس بنية في مقابل كون الخطاب في الأساس موقفا؛ هو التّمييز السّائد في أدبيّات نظريّة النّص وتحليل الخطاب، بيد أنّ الإلحاح على ربط النّص بمقاصده ووظائفه ممّا يعيد هذين المصطلحين إلى دوائر متشابكة، يبدو فضّ الاشتباك بينهما أمرًا عسيرًا جدًّا.

ومهما يكن من أمر؛ فإنّ هناك فروقًا أوّليّة ينعقد عليها الإجماع نظريًّا، من أهمّها ما يلي:[60]

1. ينظر إلى النّص في الأساس من حيث هو بنية مترابطة تكوّن وحدة دلاليّة، وينظر إلى الخطاب من حيث هو موقف يبتغي للّغة فيه أن تعمل على مطابقته.

2. يحصل ممّا قلناه آنفًا بأنّ الخطاب أوسع من النّص؛ فالخطاب بنية بالضّرورة ولكنّه يتّسع لعرض ملابسات إنتاجها وتلقّيها وتأويلها، ويدخل في تلك الملابسات ما ليس بلغة كالسلوكيّات الحركيّة المصاحبة إيجابيًّا للاتّصال.

3. النّص في الأصل هو النّص المكتوب، والخطاب في الأصل هو الكلام المنطوق؛ إذ يفترض الخطاب وجود المتلقّي لحظة إحداث الخطاب بينما يتوجّه النّص إلى متلقٍ مؤجّل يتلقّاه عن طريق عيّنة قراءة؛ أي أنّ الخطاب نشاط تواصليّ يتأسّس أوّلاً على اللّغة المنطوقة بينما النّص مدوّنة مكتوبة؛ أي أنّ "اللّغة الشّفويّة تنتج خطابات، بينما الكتابة تنتج نصوصًا"[61]. ولكن قد يتلبّس الخطاب بصورة النّص على التّوسّع؛ إذ يُطلق النّص على المنطوق، كما يُطلق الخطاب على المكتوب كالخطاب الرّوائيّ.

4. يتميّز الخطاب عادة بالطّول؛ وذلك أنّه في جوهره حوار أو مبادلة كلاميّة، أمّا النّص فيقصر حتّى يكون كلمة مفردة (مثل: سكوت!)، ويطول حتّى يُصبح مدوّنة كاملة (مثل: رسالة الغفران)، وبالتّالي فإنّ الخطاب لا يتجاوز سامعه إلى غيره؛ أيّ أنّه مرتبط بلحظة إحداثه، بينما النّص له ديمومة الكتابة يُقرأ في كلّ زمان ومكان.

5. يرتبط ميل الخطاب عادةً إلى الطّول والامتداد والحواريّة، بتمكينه من التّعبير عن وجهات النّظر والمواقف المختلفة. إذا اتّخذنا من خطاب الرّواية مثالاً رأينا أنّ دراسة الخطاب تجري ضمن كلّ مظاهر الرّواية الّتي تتصل بها مفاهيم مثل (الحوار) و(وجهة النّظر) و(الموقف) و(رؤية العالم) و(نبرة الخطاب) و(اعتقادات المؤلّف)، وأنواع الأحكام الّتي يُصدرها، وشبكة العلاقات التّواصليّة بين المؤلّف والشّخوص والقارئ الضمنيّ...الخ.

5. خاتمة: نجمل أهم نتائج البحث فيما يلي:

1- ارتبط المفهوم اللّغويّ العربيّ للنّص بثلاث معانٍ أساسيّة؛ حيث انتقل المعنى من الدّلالة الحسيّة كالسيّر الشّديد، إلى الدّلالة على أمر معنوي كالسّؤال عن الشيّء، ثمّ إلى الدّلالة الاصطلاحيّة كالإسناد في علم الحديث. في حين نجد أنّ مفهوم النّص le texte عند الغربيّين، ارتبط أساسًا بمعنى النّسيج في المجال الصّناعيّ؛ حيث عُدّ النّص نسيجًا من الكلمات يرتبط بعضها ببعض.

2- إنّ الدّلالة اللّغويّة للنّص عند العرب انتقلت إلى المفهوم الاصطلاحيّ؛ حيث أصبح النّص مصطلحًا دلاليًّا إجرائيًّا. وعلى الرّغم من اختلاف الرّؤى، وتنوّع وجهات النّظر إلى النّص؛ فإنّ جلّ الدّارسين العرب قديمًا وحديثًا، قد ربطوا النّص بمصطلح الكلام، وهذا ما خلص إليه محمد مفتاح حيث اعتبر النّص مدوّنة حديث كلاميّ ذي وظائف متعدّدة.

3- لقد تعددت قراءة النّص في المنظور العربيّ، وتنوّعت مفاهيمه، وتلوّنت بتلوّن النّظريّات الأدبيّة، والمدارس النّقديّة، وبحسب الخصوصيّات الثّقافيّة والنّفسيّة والحضاريّة، الّتي تميّز دارسًا عن دارسٍ آخر. غير أنّ جلّها تؤكّد على أنّ النّص عبارة عن تشكيل نظميّ -مؤسّس على روابط وعلائق تركيبيّة- ولغويّ يعكس سمات دلاليّة ملتحمة، تتجاوز سيّاقه الدّاخليّ إلى واقعه الخارجيّ، ذي غرض تواصليّ، ينتجه باحث، ويُعاد إنتاجه من قرّاء، يتّخذ أشكالاً كتابيّة أو لفظيّة متداخلة، تحكمه خلفيّات معرفيّة.

4- على الرّغم من تعدّد مفاهيم الخطاب انطلاقًا من تعدّد تصوّرات المهتمّين به؛ فإنّ تلك التصوّرات وإن كانت متمايزة من بعضها؛ فإنّها تحقّق التّكامل في الوقت ذاته. محقّقة للخطاب مفهومًا واسعًا يتضمّن جلّ الخصائص (اللّسانيّة والمنطقيّة والتواصليّة) المكوّنة له. وعليه فالخطاب يمثّل وحدة تواصليّة إبلاغيّة، ناتجة عن مخاطب معيّن، موجّهة إلى مخاطب معيّن، في سيّاق معيّن. وهو تواصل لسانيّ، يُنظر إليه كإجراء بين المتكلّم والمخاطَب. كما أنّه يتنوّع بتنوّع الطّرق الّتي يتّخذها المتكلّمون أو الكتّاب، وذلك بحسب مواقف اجتماعيّة وثقافيّة محدّدة، فتنتج بذلك أنواع كثيرة من الخطابات، مثل الخطاب الدّينيّ، والخطاب العلميّ، والخطاب السيّاسيّ، والخطاب البيداغوجيّ...

5- إنّه لمن الصّعوبة بمكان إيجاد حدود علميّة موضوعيّة فارقة بين مفهوميّ النّص والخطاب نظرًا للتشعّب النّظريّ الكبير الّذي تحدثه الثّنائيّة (نص/خطاب). إذ نجد تداخلاً بين المفهومين لدى كثير من المنظّرين؛ حيث يستعمل المفهومان وكأنّهما مترادفان، إلاّ أنّ هناك في الحقيقة حدودًا فاصلة بين المصطلحين تتلخّص في كون النّص بنية في مقابل كون الخطاب موقفًا. كما أنّ النّص في العادة مرتبط بالكتابة، والخطاب في الأصل هو الكلام المنطوق؛ أي أنّ الخطاب نشاط تواصليّ يتأسّس أوّلاً على المنطوق، بينما النّص مدوّنة مكتوبة. أضف إلى هذا تميّز الخطاب بالطّول وذلك أنّه في جوهره حوار أو مبادلة كلاميّة، أمّا النّص فيقصر حتّى يكون كلمة مفردة، ويطول حتّى يُصبح مدوّنة كاملة.

وبالتّالي فإنّ الخطاب لا يتجاوز سامعه إلى غيره؛ أي أنّه مرتبط بلحظة إحداثه، بينما النّص له ديمومة الكتابة، يُقرأ في كلّ زمان ومكان.

6. قائمة المراجع:

المراجع العربيّة:

1. ابن منظور، لسان العرب، مج 11، مادة (خ، ط، ب)، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994.
2. أحمد عفيفيّ، نحو النّص- اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ط1، 2001.
3. بشير ابرير، في تعليميّة الخطاب العلميّ، مجلّة التّواصل، جامعة باجي مختار، عنّابة، العدد 02، جوان 2001.
4. حميدة سميسم، مدخل إلى مفهوم الخطاب الدّعائيّ، مجلّة آفاق عربيّة، العدد 05، 1994.
5. ذهبيّة حمّو الحاجّ، لسانيّات التلفّظ وتداوليّة الخطاب، دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع.
6. رابح بوحوش، الأسلوبيّات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنّابة، 2006.
7. السّعيد بوسقطة، شعريّة النّص بين جدليّة المبدع والمتلقّي، مجلّة التّواصل، جامعة عنّابة، العدد الثّامن، جوان 2001.
8. سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص- المفاهيم والاتّجاهات-، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر- لونجمان، مصر ط1، 1997.
9. سعيد يقطين، انفتاح النّص الرّوائيّ، ط1، 1989.
10. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر- لونجمان-، القاهرة، ط1، 1996.
11. عبد الجليل مرتاض، في عالم النّص والقراءة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 2007.
12. عبد الرّحمان بوعلي، عناصر أوّليّة لمقاربة سيميو-سوسيولوجيّة للنّص الشّعريّ، مجلّة العرب والفكر العالميّ، ع1، شتاء1988.
13. عبد العليم محمّد، ملاحظات نقديّة حول دراسة الخطاب السيّاسيّ، مجلّة المنار، باريس، العدد 07، 1985.

14. فاطمة الطبال بركة، الألسنيّة عند رومان جاكبسون، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1.
15. فرحان بدري الحربيّ، الأسلوبيّة في النّقد العربيّ الحديث- دراسة في تحليل الخطاب-، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1.
16. المحاضرات، نشر النّادي الأدبيّ الثّقافيّ، جدّة، كتاب 67، المجلّد 09، 1991.
17. محمد العبد، النّص والخطاب والاتصال، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، المهندسين، القاهرة، ط1، 2005.
18. محمّد خطّابي، لسانيّات النّص- مدخل إلى انسجام الخطاب- ، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
19. محمّد عابد الجابريّ، الخطاب العربيّ المعاصر، دار الطّليعة، بيروت، ط2.
20. محمّد محمصاجيّ، لسانيّات النّصوص ما هي؟، مجلّة دفاتر الترّجمة، معهد الترجمة، جامعة الجزائر، ع1، 1993.
21. نور الدّين السدّ، الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، ط1، 1977.
22. نور الدّين السّد، مفارقة الخطاب للمرجع، مجلّة الكاتب، اتّحاد الكتّاب العرب، العدد 51، 2001.
23. يوسف نور عوض، نظريّة النّقد الأدبيّ الحديث، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1994.

المراجع المترجمة:

2. تزفتان تودوروف، مفهوم الأدب، ترجمة: منذر عيّاشي، مجلّة العرب والفكر العالميّ، العدد 03، 1988.
3. جوليا كريستيفيا، علم النّص، ترجمة: فريد الزّاهي، مراجعة: عبد الحليم ناظم، دار توبقال، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1991.
4. ديان مكدونيل، مقدّمة في نظريّات الخطاب، ترجمة: عز الدّين إسماعيل، المكتبة الأكاديميّة، مصر، ط1، 2001.
5. روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمّام حسّان، ط1، 1998، عالم الكتب، القاهرة.
6. زتسيسلاف وأورزنياك، مدخل إلى علم النّص – مشكلات بناء النّص -، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2003.
7. سارة ميلز، الخطاب، ترجمة: يوسف غول، منشورات مخبر التّرجمة في الأدب واللّسانيّات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2004.
8. فان دايك، النّص والسّياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا للشّرق، بيروت، لبنان، 2000.
10. في أصول الخطاب النّقديّ الجديد، مجموعة مقالات، ترجمة: أحمد المديني، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، 1999.
12. ميشال فوكو، حفريّات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1986.

7. هوامش:

1- السّعيد بوسقطة، شعريّة النّص بين جدليّة المبدع والمتلقّي، مجلّة التّواصل، جامعة عنّابة، العدد الثّامن، جوان 2001، ص 212.

2- جوليا كريستيفيا، علم النّص، ترجمة: فريد الزّاهي، مراجعة: عبد الحليم ناظم، دار توبقال، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص09.

فاولر، اللّسانيّات والرّواية، نقلا عن: سعيد يقطين، انفتاح النّص الرّوائيّ، ط1، 1989، ص12.

3- المحاضرات، نشر النّادي الأدبيّ الثّقافيّ، جدّة، كتاب 67، المجلّد 09، 1991، ص70.

4- فاولر، اللّسانيّات والرّواية، نقلا عن: سعيد يقطين، انفتاح النّص الرّوائيّ، ط1، 1989، ص12.

5- محمّد خطّابي، لسانيّات النّص- مدخل إلى انسجام الخطاب-، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص29.

6- سعيد يقطين، انفتاح النّص الرّوائيّ، ص16.

7- فان دايك، النّص والسّياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا للشّرق، بيروت، لبنان، 2000، ص10.

8- سعيد يقطين، انفتاح النّص الرّوائيّ، ص16.

9- يوسف نور عوض، نظريّة النّقد الأدبيّ الحديث، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1994، ص17.

10- المرجع السّابق، ص84.

11- م ن، ن ص.

12- سعيد يقطين، انفتاح النّص الرّوائيّ، ص17.

13- عبد الرّحمان بوعلي، عناصر أوّليّة لمقاربة سيميو- سوسيولوجيّة للنّص الشّعريّ، مجلّة العرب والفكر العالميّ، ع1، شتاء1988، ص17.

14- محمّد محمصاجيّ، لسانيّات النّصوص ما هي ؟، مجلّة دفاتر التّرجمة، معهد الترجمة، جامعة الجزائر، ع1، 1993، ص06.

15- روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمّام حسّان، ط1، 1998، عالم الكتب، القاهرة.

16- محمّد محمصاجيّ، لسانيّات النّصوص ما هي؟، ص07.

17-Beaugrand-R ,Dressler-W,An introduction To Textlinguistics, Longman, London-New York, (1983), P35.

نقلا عن: محمد العبد، النّص والخطاب والاتصال، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، المهندسين، القاهرة، ط1، 2005، ص11.

18- de Beaugrand-R , Dressler-W,An introductionToTextlinguistics,p19

نقلا عن: أحمد عفيفيّ، نحو النّص- اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ط1، 2001، ص30.

19 -Dictionnaire De La Linguistique, p486.

نقلا عن: عبد الجليل مرتاض، في عالم النّص والقراءة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 2007، ص07.

20- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر- لونجمان-، القاهرة، ط1، 1996، ص299،298.

21- زتسيسلاف وأورزنياك، مدخل إلى علم النّص – مشكلات بناء النّص -، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 2003، ص54.

22- سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص- المفاهيم والاتّجاهات-، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر- لونجمان، مصر ط1، 1997، ص101.

23- المرجع نفسه، ص102.

24- زتسيسلاف وأورزنياك، مدخل إلى علم النّص – مشكلات بناء النّص -، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ص55.

25- أحمد عفيفيّ، نحو النّص- اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ، ص27.

26- زتسيسلاف وأورزنياك، مدخل إلى علم النّص – مشكلات بناء النّص -، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ص58.

27- المرجع نفسه.

28- نسجّل استعمال لفظ (الخطاب) في القرآن الكريم بصيغة المصدر والفعل في الآيات التّاليّة: وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُغْرَقُونَ" (المؤمنون/آية27). "وَإِذَا خَاطَبَهُم الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمَا " (الفرقان/ آية 36). "رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَانُ لاَ يَمِلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا" (النّبأ / 37).

29- سارة ميلز، الخطاب، ترجمة: يوسف غول، منشورات مخبر التّرجمة في الأدب واللّسانيّات، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2004، ص1.

30- ابن منظور، لسان العرب، مج 11، مادة (خ، ط، ب)، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994، ص361.

31- ذهبيّة حمّو الحاجّ، لسانيّات التلفّظ وتداوليّة الخطاب، دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ص13.

32- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص21.

33- المرجع نفسه، ص17.

34- ديان مكدونيل، مقدّمة في نظريّات الخطاب، ترجمة: عز الدّين إسماعيل، المكتبة الأكاديميّة، مصر، ط1، 2001، ص30.

35- Benveniste Emile (1971) ,problems in general linguistics, university of Miami press, Florida (first published 1966), p208,209.

نقلاً عن: سارة ميلز، الخطاب، ص04.

36- م ن.

37- في أصول الخطاب النّقديّ الجديد، مجموعة مقالات، ترجمة: أحمد المديني، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، 1999، ص39.

38- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائيّ، ص22.

39- تزفتان تودوروف، مفهوم الأدب، ترجمة: منذر عيّاشي، مجلّة العرب والفكر العالميّ، العدد 03، 1988، ص10.

40- رابح بوحوش، الأسلوبيّات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنّابة، 2006، ص89.

41- معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة، تقديم وترجمة: سعيد علّوش، ص83. نقلاً عن: فرحان بدري الحربيّ، الأسلوبيّة في النّقد

العربيّ الحديث- دراسة في تحليل الخطاب-، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، ص40.

42- حميدة سميسم، مدخل إلى مفهوم الخطاب الدّعائيّ، مجلّة آفاق عربيّة، العدد 05، 1994، ص17.

43- أدييث كريزويل، عصر البنيويّة، ترجمة: جابر عصفور، ص269. نقلاً عن: فرحان بدري الحربيّ، الأسلوبيّة في النّقد العربيّ الحديث، ص40.

44- عبد العليم محمّد، ملاحظات نقديّة حول دراسة الخطاب السيّاسيّ، مجلّة المنار، باريس، العدد 07، 1985، ص18.

نقلا عن: حميدة سميسم، مدخل إلى مفهوم الخطاب الدّعائيّ، ص17.

45- سارة ميلز، الخطاب، ص04.

46- ميشال فوكو، حفريّات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، ص34. نقلا عن: فرحان بدري الحربيّ، الأسلوبيّة في النّقد العربيّ الحديث، ص40.

47- محمّد عابد الجابريّ، الخطاب العربيّ المعاصر، دار الطّليعة، بيروت، ط2، ص128.

48- فاطمة الطبال بركة، الألسنيّة عند رومان جاكبسون، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، ص40.

49- يوسف نور عوض، نظريّة النّقد الأدبيّ الحديث، دار الأمين للنّشر والتّوزيع، ص11.

50- نور الدّين السّد، مفارقة الخطاب للمرجع، مجلّة الكاتب، اتّحاد الكتّاب العرب، العدد 51، 2001، ص172.

51- سارة ميلز، الخطاب، ص05.

52- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، مرجع سابق، ص304.

53- سعيد يقطين، انفتاح النّصّ الرّوائيّ، ص11.

54- المرجع نفسه، ص16.

55- م ن.

56- سارة ميلز، الخطاب، ص03.

57- م ن.

58- روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمّام حسّان، ص06.

59- نور الدّين السدّ، الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، ص117.

60- محمّد العبد، النّص والخطاب والاتّصال، ص11.

61- بشير ابرير، في تعليميّة الخطاب العلميّ، مجلّة التّواصل، جامعة باجي مختار، عنّابة، العدد 02، جوان 2001، ص77.